يرما اصوات

مسرحية

خطبة لاذعة أمام رجل ميت

أو

يرما......أصوات

مونولوج من مسرحية لوركا

يرما

(صوت غناء في الخلفية قبل أن يظهر أي ضوء)

للحضانة، الحضانة، الحضانة

للمربية الصغيرة سنبني

كوخا صغيرا في الحقول

والى هناك سنلتجيء

يرما اصوات

(ضوء أزرق غامق يكشف عن مزار تأتيه النساء ليصلين ويبتهلن، ستائر بيضاء يتغير لونها باستمرار، شكل الستائر يمكن تحديد المكان إلى فمضاءات وتقسيمها إلى فمضاءات مختلفة.

يرما تركع إلى جانب جثة خوان، زوجها، تنهض مفزوعة وتصرخ: آي، آي، آي. (صمت. صوت قيثارة ينطلق بنعومة مزيلا حدة الصرخة

يرما :

علي أن أنام دون أن أفزع نفسي حتى أستيقظ متلهفة، لأتأكد مما إذا كنت أحس أن في دمي دم جديد آخر.

جسدي جاف إلى الأبد. سأرتاح من هذا الكابوس، كابوس الجسد.

(تنهض متحسسة جسدها، في الخلفية ظلال نساء)

سأرتاح من هذه النار التي تحرق دم الاشتياق. ماذا تريدون مني؟ لا تقتربوا مني،فقد قتلت ابني. أنا نفسي قتلت ابني.(تتحسس وجهها) لقد زال الوهج، وزال الاحمرار، وزال الخجل.

صوت جوقة نساء:

يا رب أزهر الوردة

لا تترك وردتي في الظل

على لحمها العاقر

أزهر الوردة الصفراء

يرما:

يرما اصوات

على لحمي العاقر

أزهر الوردة الصفراء .

اصمتن أيتها النساء المبتهلات إلى اللاشيء، لم تعد هذه الأغاني تحرك شيئا في داخلي الذي جف جراء احتراق دام أكثر من سنتين... غنيت بما فيه الكفاية لأقنع رحمي أن الغناء سيلقي بالأطفال كسيل ماء . . .

كنت أستلقي وأغني لأقنع هذا الرحم أن الفرج سيأتي، أن نور الحياة سيشرف من رحمي . . .

(تستلقي على الأرض فارجة رجليها وكأنها في وضعية ولادة)

يرما :

من أين تأتي يا حبي، يا طفلي؟

صوت طفل :

من جبال البرد الثلجي .

يرما :

ماذا ينقصك يا حبي الجميل، يا طفلي؟

صوت طفل :

الدفء المحبوك في ردائك .

يرما: (تنهض فزعة)

يرما اصوات

سأقول لك يا طفلي نعم،

فمن أجلك سأمزق وأكسر

كم هو مؤلم هذا البطن الآن

حيث سيكون أول مهد لك

متى يا ولدي، متى ستجيء إلي ؟

(الظلال تتحرك في رقصة على أنغام قيثارة، ستارة بيضاء تتحرك لتكون زاوية، يرما تجلس "الدمية"، زوجها)

يرما :

عندما قتلته، قتلت ابني، لكنني حاولت معه أن يزرع بذ رة الورد في رحمي، حاولت أن أساعده، حاولت أن أحبه، حاولت أن أساعده بأن يحتفظ ببريق جسده. (إلى الدمية) هل تذكر؟ كل صباح كنت أردد اسطوانة كرهتها :

"خوان؛ هل تسمعني؟ لقد مرت الثيران، ألن تأخذ كأس حليب؟ أنت تعمل كثيرا وجسمك ليس قويا تماما للعمل. كنت مختلفا تماما في بداية زواجنا، الآن وجهك أبيض كأن الشمس لم تشرق عليه أبدا، أود أن أراك تمضي إلى النهر وتسبح، أو تتسلق السطح حين ينصب المطر على بيتنا

(إلى الظلال)

أربعة وعشرون شهرا مرت على زواجنا وهو يزداد حزنا ونحولا، كأنه ينمو إلى الوراء. أردت ما هو حق لي .

(إلى الدمية)

لا تفهمني خطأ...لو كنت مريضة لوددت منك أن تعتني بي :

"زوجتي مريضة، سأذبح هذا الحمل وأطبخ لها لحم جيد، زوجتي مريضة:سأوفر دهن الدجاجة هذا لأريح صدرها"

هذه طبيعتي... لذلك أعتني بك. لكنك لا تدعني أعتني بك .

ليس لدينا أطفال خوان؛ وأنا أحبك.. أنت تعرف ذلك... أليس كذلك ؟

(إلى الظلال)

أعرف فتيات ارتعشن وبكين قبل أن يندسسن في الفراش مع أزواجهن

(إلى الدمية)

هل بكيت أول مرة آويت فيها إلى الفراش معك؟ ألم أغني وأنا أعيد أغطية الكتان الرقيقة إلى السرير؟ ألم أخبرك:هذه الأغطية تفوح منها رائحة التفاح؟

بكت أمي لأنني لم آسف على فراقها... وكان ذلك صحيحا... لم تتزوج أي فتاة أبدا وهي أسعد مني... لا... أرجوك؛ لا تقل ما يقولونه أنك... أرى بعيني هاتين أن كل ذلك ليس كذلك... المطر بقوة سقوطه على الحجارة يلينها وينمي الأعشاب عليها، الأعشاب التي يقول الناس أنها غير نافعة لأي شيء . . .

. . . . لكنني أراها بوضوح كاف تحرك أزهارها الصفر في الريح

(إلى الظلال)

هو لم يحب أن أخرج من البيت وأنا لم أخرج في حينه، كان يردد العبارة نفسها :

"الشارع للناس الذين ليس لديهم ما يفعلونه"

وأنا أجيبه طائعة :

" طبعا"

وكنت أواسي نفسي دائما... وكنت أشعر بالجرح في بطني عندما كانت ماريا تركض

أمام بيتي وأوقفها لكي أستمد شعور الأمومة من بطنها، عندما كانت تركض صباحا إلى الدكان تنتظر لتشتري المخرمات والكتان والأشرطة والصوف الملون، كان زوجها يعطيها النقود دون حتى أن تطلب. كان بطنها منتفخا في الشهر الخامس، كنت أحاول أن أضع يدي لترتعشا من مجرد نمو تلك الوردة في بطنها.كنت متلهفة لأعرف، فقط لمجرد المعرفة، كيف يجعلها تشعر أنه هناك في بطنها... تلك الصبية الشقية المشوشة كانت تتكلم كمجربة وتقول وتسأل :

"ألم تمسكي بطائر حي ومسكته في يدك؟"

" . . . . حسنا... نفس الشيء لكن أكثر في دمك

ما أجمل هذا.... وكانت تنظر إلي حزينة وتقول :

" من بين جميع عرائس زماني أنا الوحيدة التي لم تتجب"

وأنا أقول :

،ما زال يوجد وقت طبعا... هيلينا تأخرت ثلاث سنين وفي الماضي البعيد في زمن أمي تأخرت بعضهن أكثر بكثير من ذلك . . .

هل كان عليه أن يفعل مثلما فعل زوج ماريا في ليلة زفافهما؟ أن يحدثني ويضغط فمه على خدي ليبدو لي أن طفلي يمامة من نار دسها في أذني ؟

لا أظن أن من الصحيح لي أن أحرق نفسي حتى النهاية... ففي ليال كثيرة أخرج حافية القدمين إلى الفناء المسقوف لأمشي على الأرض... أنا لا أعرف لماذا أفعل ذلك. إذا استمريت على هذا الحال ستسوء حالتي .

(صوت قيثارة يحاور صوت كمان)

يرما :

في الفناء، الكلب ينبح

في الأشجار، الريح تغني

تجأر الثيران بحثا عن قطيع الثيران

والقمر يجعد شعري

ماذا تريد يا فتى من هذا البعد السحيق؟

صوت فتى :

الجبال بيض فوق صدرك

يرما اصوات

لترتعش الأغصان في الشمس

ولتتقافز النوافيرحولنا

يرما :

سأقول لك يا طفلي:نعم

فمن أجلك سأمزق وأكسر

كم هو مؤلم هذا البطن الآن

حيث سيكون أول مهد لك

متى يا ولدي، متى ستجيء ألي؟

لا.. المرأة لا تعاني من الأطفال، ذلك كذب، ذلك ما تقوله أمهات ضعيفات كثيرات الشكوى.. لقد رأيت أختي ترضع طفلها من ثدييها وقد ملأتها الخدوش، كان ذلك يؤلمها ألما شديدا... نعم... لكنه كان ألما نضرا، جيد وضروري للصحة... إنجاب طفل ليس باقة ورد، لا بد أن نعاني حتى نراهم يكبرون، وأنا أفكر أحيانا أن نصف دمنا يجب أن يستنفذ... في كل امرأة دم لأربعة أو خمسة أطفال، وإذا لم تتجبهم يتحول إلى سم . . . كما حدث لي . . .

(صوت رجل يغني، انه فكتور، تعلو أصوات القطعان، وأبواق الرعاة الكئيبة)

يرما اصوات

صوت فكتور :

لماذا يا راعي تنام وحيدا

لماذا يا راعي تنام وحيدا

على غطائي الصوفي عميقا

ستنام نوما أحلى

لماذا يا راعي تنام وحيدا

يرما: (تجيب)

لماذا يا راعي تنام وحيدا

على غطائي الصوفي عميقا

ستنام نوما أحلى

غطاؤك من حجر مظلل

يا راعي،

وقميصك من صقيع

يا راعي،

اندفاعات الشتاء الرمادية

في مد ليل فراشك

جذور السنديان تحوك ابرها

يرما اصوات

،يا راعي

تحت وسادتك بصمت

،يا راعي

وإذا سمعت صوت امرأة

هو صوت الجدول الممزق

،يا راعي، يا راعي

ما الذي يريده منك سفح التل

يا راعي ؟

سفح تل من أعشاب مرة

أي طفل يقتلك؟

الشوكة التي حملتها شجرة الوزال .

،إلى الدمية) هذا فكتور.هل تذكره ؟غناؤه جميل، وصوته رنان كجدول ماء يملأ فمه)
،وكان دائنا سعيدا. أقول لك الآن الحقيقة

،كان دائما جسدي يرتعش عندما كنت أراه

وكان الدم في عروقي يرقص رقصة تحرك جسدي عندما كان يمد يده ليصافحني..كنت
أخاف ملامسة يده. قال لي قبل رحيله :

"قولي لزوجك أن يفكر في عمله أقل.. يريد أني يجمع مالا، وسيجمعه، ولكن لمن
سيتركه حين يموت؟"

،لقد رآني وأنا أخيط الملابس لطفل ماري

وفكر أنني أخيط الملابس لطفلي.وقال لي لو

كانت بنتا سميها باسمك... قلت له :

ليست لي... أنها لطفل ماري . . .

،قال:حسنا، إذن لنر أن كان مثالها سيشجعك، فهذا البيت يحتاج الى طفل، حاولي أكثر تلك هي الحال... حاولي أكثر .

تصرخ)لماذا أنا بلا أطفال؟هل كان علي أن ألتفت في زهرة عمري إلى الاعتناء) بطيور صغيرة؟ أو اثبت ستائر رقيقة بثنيات على نوافذي الصغيرة؟ أردت أن يخبروني بما أفعله. كنت سأفعل أي شيء حتى وخز أبر في أضعف جزء من عيني.. حاولت أن أستلقي على ظهري وأغني لكي يأتي الأطفال كسيل ماء... مثلما قالت لي تلك العجوز الخرفة، والتي كانت تحرجني بأسئلتها :

"هل يسرك زوجك؟ ها تحبينه حقا؟هل تتوقين أن تكوني معه؟"

أقول لك الصراحة:لم أكن لأعرف .

وكانت تسأل:ألا أرتعش حين تقترب مني، ألا أحس بشيء كحلم حين تدني بشفتيك لتلتقيا ،بشفتي؟ وأقول لك الحقيقة:أنا لم ألاحظ هذا... أبدا.. ولا حتى حين كنا نرقص. ربما

ربنا مرة واحدة. مع فكتور. طوق خصري ولم أستطع أن أقول كلمة، لأنني لم أستطع الكلام. في مرة أخرى، فكتور هذا نفسه، حين كنت في الرابعة عشرة من عمري وكان ضخما قويا،أخذني بين ذراعيه ليقفز فوق خندق،فبدأت أرتجف بقوة حتى أن أسناني اصطكت ،لكنني كنت دائما خجولة .

(إلى الظلال التي غيرت من حركتها)

زوجي شيء آخر...أعطاه أبي لي فأخذته بسعادة، تلك هي الحقيقة البسيطة. لماذا من أول يوم ارتبطت به فكرت في أطفالنا؟وكان بامكاني أن أرى نفسي منعكسة صغيرة جدا،

طيعة جدا، وكأنني ابنة نفسي.أيكون ذلك هو سبب أنني لم أنجب أطفالا؟

: تضحك)قالت لي تلك العجوز الخرفة)

. على الرجال أن يمتعونا، عليهم أن يحلوا شعرنا ويدعونا نشرب الماء من أفواههم"

هكذا تسير النيا"

لا..ليست دنياي. لقد فكرت بأشياء كثيرة وكنت على يقين من أن الأشياء التي أفكر فيها ستتحقق في طفلي. لقد أسلمت نفسي إلى زوجي من أجله، وكنت سأواصل تسليم نفسي لأرى إذا كان سيولد.. لكن ليس للمتعة أبدا. لا... لم أكن خاوية، لأنني كنت ممتلئة بالكراهية، هل هذا خطأي.. في الرجل؟هل علينا أن نبحث في الرجل فقط، لا شيء أكثر من ذلك؟ إذن بماذا كان علي أن أفكر حين كان يتركني أرقد في الفراش ناظرة إلى السقف بعينين حزينتين ويتقلب وينام، هل كان علي أن أستمر في التفكير فيه هو..أو فيما كان يخرج من صدري متألقا؟

أوه، يا له من حقل أسى

أوه، هذا الباب المغلق دون الجمال

أن تطلبي طفلا يعني أن تعاني

والى الريح

أن تقدمي أضالية قمر نائم

يرما اصوات

هذان الربيعان المليئان لدي

بحليب دافيء هما لصق لحمي

إيقاعا هرولة حصان

يهزان فرع عذابي الأليم

أوه يا ثديان أعميان تحت ملابسي

أوه يا يمامتان بلا عينين ولا بياض

أوه ياله من ألم دم سجين

يدق مسامير زنابير في قاعدة دماغي

لكن عليك أن تأتي يا حبي الجميل

يا طفلي

فالماء يعطي ملحا، والأرض فاكهة

وأرحامنا تحرس أطفالا رقيقة

تماما كما تكون سحابة جميلة كالمطر

2

(تختفي الظلال وتبقى زاوية الدمية، الزوج)

يرما:

يرما اصوات

أتيت بأختيك لكي تحرسانني، لكي تلحقانني حيث كنت أذهب، وعندما كنت تأتي إلى البيت ولم تجدني كنت تحقق معهما وتشتكي،

لقد سمعتك مرة، حين وقفت إلى جانب الباب

كنت عائدة لتوي :

"لا أحب أن تخرج وحدها، الخبز الذي آكله شاق كسبه، أمضيت يوما شاقا أمس، ظللت أقلم التفاح... وحين حل المساء تساءلت لماذا أبذل الكثير من الجهد في عملي إذا كنت لا أستطيع أن أرفع تفاحة إلى فمي.. أنا تعب.. تلك المرأة غائبة.. كان على واحدة منكما أن تخرج معها... لهذا السبب أنتما هنا تأكلان على مائدتي وتشربان نبيذي... أن حياتي في الحقول، لكن شرفي هنا.. وشرفي هو شرفكما أيضا"

وعندما كنت أعود،كنت تسألني وأقول لك :

"كنت عند النبع حتى يكون لدينا ماء طازج للعشاء"

كنت أنظر إليك محبة ومشفقة وكان الهرب طريقتك :

"علي أن أرعى القطعان، لكل رجل حياته التي يعيشها"

وأنا أقول لك :

لكل امرأة حياتها... لم أطلب منك البقاء.كان لدي كل ما أحتاجه...أختاك تحرسانني جيدا،

آكل الخبز والجبنة الطرية والضأن المشوي،

وفي الحقل يأكل قطيعك العشب وقد لينه الثرى .

ماذا؟

الغنم في الحقل والنساء في البيت ؟

تماما . . . .

النساء في بيوتهن حين لا تكون هذه البيوت قبورا... حين تتكسر الكراسي، وتهترىء ملاءات الكتان من الاستعمال... لكن ليس في بيتي... في كل ليلة، حين كنت آوي إلى فراشي كنت أجد فراشي أجد وأكثر لمعانا . .

كأنه أحضر للتو من المدينة . . .

لماذا كان عليك أن تكون مستنفرا؟لم أسيء إليك بأية طريقة... عشت طائعة لك،وما كنت أعاني منه أبقيته لصق لحمي... وكل يوم كان يمضي كان أسوا... تعلمت أن أحمل صليبي على أفضل ما يمكنني، لو كنت فجأة أستطيع أن أتحول إلى عجوز ويصبح لي فم زهرة ذابلة لكنت استطعت أن أبتسم، وأشاركك الحياة، لكنني لم أنم، لم استطع أن أنام، احتجت إلى شيء . . .

لدى الرجال في الحياة ماشيتهم.. أشجارهم ،

أحاديثهم. لكن للنساء أطفالهن... ماذا...؟

تريدني أن أرعى أطفال أختي ؟أنا لم أرد

أن أرعى أطفال امرأة أخرى، أظن أن ذراعاي كانت ستتجمدان من حملي لهم...أن

لا أصر أن أضرب رأسي بحجر.نعم...من المخزي أن يكون حجر،...أردت أن أطرز ملابس ولم يكن لأنه كان يجب أن يكون سلة زهور وروائح ذكية. وأنا لم آت إلى هذه الجدران لأرضى بمصيري...لو ربطت قطعة قماش رأسي حتى لا يسقط،

عندئذ...عندئذ كنت سأرضى بمصيري . . .

ماذا كان علي أن أفعل؟

أردت أن أشرب ماء ولم يكن ماء..ولم يكن

كأس، أردت أن أصعد إلى الجبل ولم تكن لي قدمان، أردت أن أطرز ملابس ولم يكن لدي خيط....ماذا؟أنا لست امرأة حقيقية؟

أنا لم أعرف من أنا...لم تدعني أتجول في فضائي لأستعيد نفسي ثانية...لم أخذلك بأية طريقة من الطرق. لماذا أغلقت علي الباب؟

ألحديث إلى الناس لم يكن خطيئة.هل كان علي أن أغلق فمي لأنني امرأة متزوجة؟هل

كان عليك أن تغلق الباب لأنك زوجي ؟إذن

عليك أن تعرف حكمة الناس حولك:كل امرأة تحصر داخل بيتها تقوم بما لا تحب أن

تقوم به، وأنا أخرج نفسي من هذه الحكمة .

3

(صوت خرير ماء... نقرات قيثار صاخبة،

إيقاعات توحي إلى حركة نساء يغسلن الملابس

ظلال نساء جالسات في حركة الغسل على النهر.. خلال الغناء تسمع حوارات بين نسوة

تأتي أصواتهن كأصوات الساحرات)

جوقة نساء :

هنا في هذا التيار الثلجي

دعني أغسل شرائطك

تماما كياسمين متوهج

يرما اصوات

وجهك الضاحك

أحب أن أعيش

في عاصفة الثلج الدقيقة

التي يثيرها الياسمين

صوت منفرد:

واأسفاه على الزوجة العاقر

واأسفاه على المرأة التي نهداها تراب

صوت منفرد:

أخبريني إذا كان لدى زوجك

بذرة خصبة

فيغني الماء من خلال

ملابسك حقا

(أصوات(حوارات

--كل من تريد اسما فلتحافظ عليه

--لكن نحن لا نعرف حقا أي شيء بالتأكيد

صوت غناء منفرد:

هذه الملابس، ملابس ابني

أغسلها في الجدول

لألقن الجدول درسا

كيف يتألق البلور

أصوات:

من المؤكد أن زوجها أحضر أختيه لتعيشا معه.

-- العذراوان العجوزان؟

-- نعم...اعتادتا أن تحرسا الكنيسة، والآن هما تحرسان زوجة أخيهما، لن أقدر أن أعيش معهما..

-- لم لا؟

-- ستثيران القشعريرة في جسمي، أنهما

كتلك الأوراق الكبيرة التي تولد بسرعة على القبور، أنهما ملطختان بالشمع، تتموان في داخلهما، أتصور أنهما تقليان طعامهما بزيت المصابيح...

صوت غناء منفرد:

يرما اصوات

عبر المروج ساعة الغسق

يأتي زوجي ليأكل

عبر سماوات الليل جاء

زوجي إلى الفراش . . .

أصوات :

--لكن هل رأيتها مع أي رجل آخر؟

--لم نرها..لكن ناسا آخرين رأوها . . .

-- دائما ناسا آخرون .

-- وماذا كانا يفعلان ؟

-- يتحدثان

-- الحديث ليس خطيئة .

في هذا العالم، مجرد لمحة يمكن أن تكون شيئا...أمي قالت ذلك دائما:امرأة تنظر إلى وردة ليست كامرأة تنظر إلى فخذي رجل . .

وهي تنظر أليه . . .

-- لكن إلى من ؟

-- إلى أحدهم... وحين لا تنظر أليه، حين تكون وحيده، حين لا يكون أمامها تماما، تحمل صورته في عينيها .

يرما اصوات

جوقة نساء :

هو مثل أزهار منثور حمراء

زهرة إلى زهرة يجب أن تزف

حين يجفف الصيف دم الحصادين

فيصبح قاني الحمرة

لا بد أن تتلقى ملاءات الفراش دموعنا .

(تختفي الظلال)

يرما: (الى الدمية)

أنت وأختاك كنتم ثلاثة ضدي..أنكم ككل الناس الذين ليس لديهم ضمائر... ظننتم أنني أميل إلى رجل آخر، ولكنكم لا تعرفون أنني حتى لو ملت إلى رجل آخر فأن الشرف لأولئك الذين على شاكلتي يأتي أولا . . . .

كنتم حجارة في دربي، لكنكم لا تعرفون أنني أستطيع أن أكون لذا أردت هذا، ماء مندفع يكتسحكم .

(يظهر ظل ماريا)

يرما :

ماريا؛

لماذا تسرعين أمام بيتي؟ ليس حسدا ما أحس به... أنه الفقر. كيف أمنع نفسي من الشكوى حين أراك والنساء الأخريات مليئات بالأزهار داخلكن؟ لم أر نفسي بلا نفع في

وسط هذا الجمال الكثير.. امرأة مزرعة لا تنجب أطفالا لا نفع منها، كحفنة أشواك سيئة.

أنتن النساء اللواتي لديكن أطفال، لا تفكرن بنا اللواتي ليس لنا أطفال، أنتن تبقين دائما طازجان، دون أن تكون لديكن أية فكرة عن هذا.. تماما كأي شخص يسبح في ماء عذب

لا تكون لديه فكرة عن العطش، في كل مرة تزداد الرغبة في ويقل الأمل... سأنتهي وقد آمنت أنني طفلة نفسي...

كثيرا ما كنت أنزل لأغذي الثيران... عمل لم أقم به من قبل أبدا، فما من امرأة تقوم به..

وحين كنت أمر عبر ظلام السقيفة كنت أسمع صوت خطواتي كأنه صوت خطوات رجل...

(غلى ظل العجوز)

نعم، كنت جريئة عندما كنت آتي إلى هنا...

لأنه ليس في العالم قوة كالرغبة كما كنت تقولين... في المقبرة سمعت تراتيل الصلوات ولم أكن خائفة، جئت إلى المقبرة لأنني أردت طفلا... سمعت أنك رتلت الصلاة مع متوسلة ظلت جافة مدة أطول مني، فلان رحمها وأصبح جميلا إلى حد أنها أنجبت طفلين، هناك قرب النهر، لأن الوقت لم يتسع للوصول إلى القرية، وكانت قادرة على أن تمشي من النهر، أتت بثيابها وحذاؤها مبللة بالدم، وجهها كان يتألق، لا شيء كان يمكن أن يحدث لها، التقطت طفليها وغسلتهما في الماء النقي، الحيوانات تلعقهما، أعرف أن طفلا لي لن يقر فني، لدي فكرة، أن النسوة حديثات الوضع يكن منيرات من الداخل، وينام الأطفال ساعات وساعات على صدورهن ، وهم يسمعون جدول الحليب الدفيء يملأ الصدور لهم كي يرضعوا... ثم يلعبوا حتى لا يكفوا عن طلب المزيد منه ويرفعوا رؤوسهم: "ارضع قليلا يا طفلي" وهكذا يتغطى وجه الطفل وصدر المرأة بالقطرات البيضاء...

نعم، آمنت أنه سيكون لي طفل، لأنه كان يجب أن يكون لي طفل، وألا كيف أفهم العالم؟ أحيانا حين كنت على يقين بأنه لن يأتي أبدا، كان يكتسحني مد من نار يتخلل جسمي من

قدمي، وتبدو كل الأشياء خاوية، ويبدو الرجال الذين يسيرون في الشوارع، والقطيع والحجارة كلها، تبدو مصنوعة من قطن.. وكنت أسأل نفسي، لماذا وضعت كلها هنا؟

يا أله السماوات؛

يقولون: من حق المرأة المتزوجة أن تريد أطفالا... ولكن السؤال:إذا لم تتجبهم، لماذا هذا الجوع أليهم؟

هل المهم في الحياة هو أن نترك السنين تحملنا في سيرها؟ هل علينا أن نرى الأشياء ككتاب قرء من قبل؟

كنت أفكر كم أنا عطشانة، وكيف أنني لم أتمتع بأية حرية... أردت أن أحمل طفلي بين ذراعي حتى أنام في سلام، حتى لو علمت أن طفلي سيعذبني، وسيكرهني، وسيجرني من شعري في الشوارع فيما بعد... كنت سأظل سعيدة عند مولده، لأن من الأفضل أن

نبكي من أجل هذا الشبح الجاثم سنة بعد سنة فوق صدري . . .

(إلى الدمية)

رجل طيب؟ أنك رجل طيب...لكن ماذا في هذا؟ ليتك كنت سيئا، لكن ... لا.. لا. كنت تخرج وغنمك وراؤك، ثم تعد نقودك في الليل، فحين كنت تغطيني، كنت تؤدي واجبك، لكنني كنت أحس بخصر بارد، كخصر جثة، فكنت أود أنا التي كرهت النساء العاطفيات دائما أن أصبح في تلك اللحظة جبلا من نار.. لا تقلق، أنا أقل براءة مما تعتقد،الفتيات اللاتي يترعرعن في الريف مثلي تغلق كل الأبواب دونهن، كل شيء يصبح نصف كلمات، نصف أشارات،

فكل هذه الأمور يجب ألا نتكلم عنها، كما يقولون . .

لا... أنا لست امرأة فاقدة الحياء... لكنني أعرف أن الأطفال يولدون من امرأة ورجل، أولو كان بوسعي فقط أن أنجبهم بنفسي أنا وحدي . .

(إلى ظل العجوز)

لم يكن زوجي يعاني...المشكلة هي أنه لم يرد أطفالا... كنت أرى هذا في نظراته، وحيث أنه لم يكن يريدهم فهو لم يعطني أياهم.. لم أحبه.. لم أحبه... ومع ذلك كان خلاصي الوحيد بالشرف والدم... خلاصي الوحيد. قولي أي أيتها العجوز: كم مرة أردد الصلوات؟ ماذا؟ صلاة

الغار مرتين؟ وعند الظهيرة صلاة القديسة آن ؟ٍسأحضر لك مكيال القمح الذي وعدت به

(إلى الدمية)

أنا لا أخافك. هل تريد أن تصيح لتوقظ القرية كلها ليروا أين يمضي شرفك وشرف بيتك؟

وأنا أيضا لو استطعت أن أصيح لصحت حتى ينهض الموتى ويروا البراءة التي تغطيني... أنت وأهلك تتخيلون أنكم الوحيد ون الذين يحافظون على الشرف . . .

وأنتم لا تعرفون أن ليس لدى أهلي أبدا ما يخفونه.. تعال، اقترب، شم ملابسي... أنظر أن كنت تجد رائحة ليست رائحتك، ليست من جسدك أوقفني عارية في وسط الميدان وابصق علي،افعل ما تشاء بي فأنا زوجتك... لكن احذر أن تلصق اسم رجل بصدري . . .

ماذا؟ لست أنت الذي يلصقه؟ أنا التي تلصقه بسلوكها؟وقد بدأت القرية تقول هذا علنا حين تمر بجماعة يصمتون كلهم؟ حين أذهب لأزن الطحين يصمتون كلهم ؟وحتى في الليل، في الحقول حين نستيقظ يبدو أن فروع الأشجار تصمت أيضا؟

عما كنت أبحث خارج بيتي طيلة الوقت؟

منفجرة) كنت أبحث عنك أنت، عنك أنت كنت أبحث ليل نهار، دون أن أجد ظلا ألتقط) فيه أنفاسي، دمك وعونك هما ما أردتهما...وعندما كنت آتي أليك، إلى الحقول مع سلة الأكل، كانت الطيور تغني، وتحلق لتسمع من حلقي رنين الحب المتدفق من قلبي، علك ترسل أشارة حب، علك تنظر إلى السماء وتبتهل شاكرا . . .

أنظر كيف تركت وحيدة، كأن القمر يبحث عن نفسه في السماء. أنظر ألي ؛

يرما اصوات

. . . . تصرخ) حين خرجت بحثا عن زهراتي اصطدمت بجدار... آي.... آي.... آي... آي) على الجدار سأكسر رأسي.. ليلعن أبي الذي خلف لي دم أب لمئة ابن... وليلعن دمي الذي يبحث عنهم مصطدما بالجدار . . .

(الظلال تظهر ثانية)

أنا لا أبالي، فليأت الناس، على الأقل لينطلق صوتي حرا، الآن وأنا أدخل أظلم جزء في الحفرة.. على الأقل ليخرج هذا الشيء الجميل من جسدي ويملأ الهواء .

جوقة نساء :

أنت لم أستطع أن أراك

حين كنت حرة خيالية

لكن الآن وقد أصبحت زوجة

سأجدك، نعم

وأخلع عنك ثوبك

أنت حاجة وزوجة

حين يكون الليل مظلما حولنا

حين يبدأ منتصف الليل بالدوي

يرما :

يرما اصوات

يا رب، أزهر الوردة

. لا تترك وردتي في الظل

: جوقة نساء

على لحمها العاقر

. أزهر الوردة الصفراء

: يرما

وفي أرحام خادمتك

. يوجد لهب الأرض المعتم

: جوقة نساء

يا رب أزهر الوردة

لا تترك وردتي في الظل

: يرما

للسماء لابد أن تكون جنائن كهذه

مع أشجار ورد من فرحها

بين الوردة والوردة

توجد وردة فيها كل العجائب

يرما اصوات

وميض فجر ساطع

وملاك يحرس،

جناحاه مفرودان كعواصف

عيناه كعذابات أليمة

بينما الحلاوة تكتنف أوراقه

تلعب جداول حليب دافيء

تلعب وتبلل وجوه

النجوم الهادئة

يا رب أزهر الورد

على لحمي العاقر .

جوقة نساء :

يا رب بيدك نفسها لطف

الأشواك على خدها

يرما :

اسمعني أنا التائبة

في مزار مقدس

افتح وردتك في لحمي

يرما اصوات

رغم أن لها ألف شوكة

جوقة نساء :

يارب أزهر الوردة

لا تترك وردتي في الظل

يرما :

على لحمي العاقر

توجد وردة كل العجائب .

(يرما:(صارخة

(آي...آي...آي...(صمت

لا أعرف لماذا جئت إلى هنا؟ أنت أيتها العجوز؛ ما الذي تستطيعين أخباري به ولا أعرفه من قبل؟ تعالي وقولي له أن الغلطة غلطته، وأن لا أبوه ولا جده ولا جد جده سلكوا سلوك رجال من دم جيد.فبالنسبة لهم إنجاب طفل هو التقاء السماء بالأرض لأنهم لا شيء سوى بصاق... أي لعنة حلت بجمالي؟ لعنة؟ أنها بركة سم على رؤوس القمح... ابتعدي عني أيتها العجوزالخرفة...هسس... لن أفعل... أنا لا أستطيع أن أخرج لأبحث عن أي رجل... هل تتخيلين أن أعرف رجلا آخر؟ أين سيترك ذلك شرفي؟

ألماء لا يستطيع أن يجري إلى أعلى التل . . .

ولا يستطيع القمر البدر أن يطلع في ساعة الظهر.على الطريق التي بدأت أسير فيها، سأظل سائرة... هل فكرت حقا في أنني أستطيع أن أخضع لرجل آخر؟ أن أذهب مطالبة بما هو لي كعبدة؟ أنظري إلي حتى تعرفينني ولا تكلمينني ثانية أبدا... أنا لا أبحث عن أي رجل...أنا كحقل جاف تحرث فيه آلاف أزواج ثيران، وتعرضين علي كأس ماء بئر صغيرة؟

يرما اصوات

أن أساي تجاوز الجسد

(إيقاعات طقوس المزار... دخان في الخلفية، ظلال متحركة لنساء وأطفال ورجال...)

صوت أنثى:

في جدول التيه

كانت الزوجة الحزينة تستحم

حول جسدها زحفت

حلزونات الماء الصغيرة

الرمل على الضفتين

ونسمة الصباح الصغيرة

أطلقت من ضحكتها شررا

وكتفيها يرتعشان

آه، كيف وقفت عارية

العذراء في الجدول

صوت آخر:

آه ه:كيف بكت العذراء

يرما اصوات

صوت :

أوه زوجة حرمت من الحب

في الريح والماء

صوت :

لتقل هي إلى من نتوق

لتقل هي من تنتظر

صوت :

آه، برحمها الذابل

ولونها الحائل . . .

صوت أنثى :

سأذكر حين مد الليل يسقط

حين توهج مد الليل يسقط

في مد ليل المزار

سأمزق ثوبي المزركش

صوت :

ثم سقط مد الليل بسرعة

يرما اصوات

أوه، كيف راح مد الليل يسقط

(القيثارات تبدأ بالعزف، أصوات البوق تعلو)

صوت ذكر:

آه كم هي بيضاء

الزوجة الحزينة

آه، كم تتنهد تحت الأغصان

خشخاشا وقرنفلا ستصبحين فيما بعد

حين يفرد الذكر عباءته

(في هذه الأثناء تبدو يرما في حالة غثيان في صلاتها الراقصة، تقترب من صوت وظل الرجل الذي يغني)

صوت ذكر:

أن جئت إلى المزار

لتصلي لرحمك حتى يزهر

لا تضعي ثقاب حداد

بل رداء من كتان هولندي رقيق

سيري وحيدة إزاء الجدران

حيث تنمو أجمة شجيرات التين

واحملي جسدي الأرضي

حتى يولول الفجر الأبيض

آه كيف هي تتألق

"آه كيف تترنح الزوجة الحزينة

صوت أنثى :

آه، ليضع عليها الحب

أكاليل وتويجات

ليثبت ريشا من أسطع

ذهب في صدرها

صوت :

سبع مرات بكت

وتسعا نهضت

وخمس عشرة مرة مزجن

ياسمينا ببرتقال

يرما اصوات

صوت :

اضربها الآن بالبوق

صوت :

بالوردة والرقصة معا

صوت :

اضربها الآن بالريح

صوت :

اضربها الآن بالغصن

جوقة :

لا بد أن يكون للسماء جنائن كهذه

(يرما تكون قد سقطت أرضا)

مع أشجار من فرحها

بين الوردة والوردة

توجد وردة فيها كل العجائب .

(صوت القيثار يخفت رويدا، رويدا، يرما تنهض من غثيانها وتنظر غلى الدمية)

يرما اصوات

يرما :

كنت هنا طيلة الوقت تتجسس،وسمعت كل شيء... ماذا؟ تريد أن تتكلم وتشتكي؟ لديك مرارة في حلقك؟ وأنا المرارة في عظامي، ما يهمك هو ما يمكنه أن تمسكه بين يديك . . .

ما يمكن أن تراه عيناك.. وأنا أقول لك :

الحقيقة لا يحس بها أحد حين تكون داخلنا . . .

أنت أردت بيتا، راحة، وامرأة، لكن لا شيء أكثر... ماذا عن البقية؟ماذا عن ابنك؟ أنت لم تفكر به أبدا..حتى حين رأيتني أريد واحدا،

ماذا؟ لن آمل في واحد؟ أسلم أمري؟ عاقر؟

(تضحك).. لن أستكين في سلام، ولن أعانقك

لاتقل ذلك... لا تقل أنك تبحث عني في ضوء القمر، وأنا جميلة، أنت تريدني كما تريد أحيانا حمامة لتأكلها... لن أقبلك... ذلك ما لن أفعله أبدا(تطلق صرخة، تمسك"زوجها الدمية" من حلقه، تخنقه حتى يموت ويسقط)

عاقر، لكن متأكدة. الآن أنا أعرف على نحو أكيد وحدي... الآن سأنام دون أن أفزع نفسي حتى أستيقظ متلهفة لأتأكد مما إذا كنت أحس أن في دمي دم جديد آخر.جسدي جاف إلى الأبد... (إلى الظلال) لا تقتربوا مني..فقد قتلت ابني أنا نفسي قتلت ابني.(صمت.يرما

تصغي إلى أصوات تأتي من بعيد)

جوقة نساء :

يا رب أزهر الوردة

لا تترك وردتها في الظل

يرما اصوات

على لحمها العاقر

أزهر الوردة البيضاء .

يرما :

لا أثر للخوف لدي، لا شيء، لا شيء . . .

لقد قضي على الحب، والألم يتوقف، أنا حرة، أصغي دون رغبات إلى الفراغ الذي يملؤني تماما .